الرجولية وشبان المدارس

صحا رأدّ الضحى مخمور الجنان مما شافهُ في رؤياهُ من كنز مرصود ومال موفور فتثاءب وتمطى وهو يقظان نائم ومد يدهُ اليمنى ليصيب بها ما خبأهُ لهُ القدر فلم تقع على شيء مما اراد

تلك حال شاب شاب فوداهُ مما هالهُ من بوائق الايام لا يرى في بياض نهارهِ الاَّ سواداً ولا يرى في سواد ليلهِ الاَّ احلاماً ان اطربتهُ حيناً افزعتهُ احياناً فهو خدن الآمال يبيع العاجل بالآجل وما يذهب الزمان الاَّ بانفاسهِ يصعدها من صدر مزفر - شاب يجدّ فيشقى ويشقى فلا ينال جدوى

الفتىٰ متقدٌ ذكي الفؤاد ولكن فيهِ خشونة طبع حاد المزاج يتسلط الغضب فالحنق عليهِ لاقل شيء اومن لا شيء واسل ما يسعونهُ تكد الطالع نازل بهِ يمسك بتلابيبهِ فدنياهُ لا تبسم لهُ ولا هو يبسم لها

تعرفت بهِ واصطفيتهُ وما فتئت اسكن من حدتهِ والطف من شدتهِ حيناً اراهُ خارجاً عن طبعهِ مستسلماً لنزق غلكهُ وتهور استعبدهُ حتى سلس قيادهُ ولان عملهُ الدهر ما عليهِ من واجب في دنياهُ وما لهُ من حق في الوجود فصار يقدر للامور عواقبها وينزلها منازلها وما سمعتهُ بعد ذلك يذم زمانهُ بل يحسب الزمان خلق ليخدمهُ وكثيراً ما سمعتهُ ينشد

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

***

اجتمعت بهِ بعد ذلك مراراً استطلع طلع احوالهِ وبلغ امانيهِ وآمالهِ - فرأيتهُ كبير الامل كبير الرجاء لا يخامرهُ يأس ولا يكترث لصعاب تعترض لهُ - فاليأس لا يجد الى صدرهِ طريقاً والصعاب يجاهد في تذليلها ولا يلبث ان يتغلب عليها - طفقت اعلل ذلك الانقلاب فيهِ وابحث عن اسبابهِ

علمت ان ذلك الشاب كانت تنقصهُ خلتان اذا اجتمعتا في امرىء اجتمع فيهِ اهم اركان الرجولية التي تجعل لهُ مقاماً في امتهِ - فاذا فقد احداهما غلب على امرهِ وانقلب على دهرهِ دائماً موتّباً اولاهما اعتمادهُ على نفسهِ وثانيتهما دماثة في طبعهِ تذهب منهُ ما فيهِ من الخشونة والنفور

في الاولى كثيراً ما كان يعتمد على ما يسعونهُ حظّاً تابلداً الجد والكد معتصماً بالتوكوء

على سواهُ من الاقربين اليهِ . ولم تكن لهُ ثقة بنفسهِ — ومتى ذهبت ثقة المرء بنفسهِ فقد الرجولية . كان يقول في بالهِ انّى يتسنى لي النجاح وانا لا رأس مال لي اقضي بهِ عملاً . كان يقول هذا وقد نسي ان في صدرهِ عملاً واسعاً وفي رأسهِ ادراكاً قد اهملهُ كل اهمال . كان ذلك كلهُ يصور لهُ اوهاماً اقلها انهُ سيء الطالع متكود الحظ . فكان هذا سبباً في تسلط الخلة الثانية عليهِ او ما يبدو عليهِ من موجدة وحنق ولو في ساعة الحلم والرضى

كان يقصد ابواب الحكومة طارقاً لعلها تفتح في وجههِ فيزيد اقفالها احكاماً . ويقصد الشركات فتوصد في وجههِ كل باب فيذهب في سبيلهِ مغمض العينين لا يغري على شيء وكأن الدنيا على رحبها اضيق من سم الخياط في نظرهِ

ذلك كان شأنهُ وذلك هو شأن الاكثرين من الشبان المتعلمين هذه الايام ولاسيما الذين سقطوا في الامتحانات النهائية . الذين تسمع شكاياتهم كل يوم . الذين ملتهم القهوات وكادت تلفظهم لفظ النواة . الذين لهم عيون ولا يبصرون وآذان ولا يسمعون وادراك ولا يفقهون لانهم لا يقدمون ولا يعملون . وانا استميحهم عذراً اذا رأوا مني حدة وشدة

***

جلس صاحبي ذات مساء مطرقاً مفكراً في تعاسته وشقائهِ واتفق انني مررت بهِ فالفيتهُ على تلك الحال وعوامل اليأس آخذة منهُ كل مأخذ فرثيت لحالهِ وجلست الى جانبهِ اهون عليهِ . واذا بهِ قد ابتسم وقال . لقد عنّ لي خاطر فاعلم ايها الصديق انني لا املك من حطام دنيانا الاَّ عشرين جنيهاً بعت بها اثاث منزلي وقد بدا لي ان اوصي بصنع عشرين سركة يد كل سركة بجنيه — وكان ذلك قبل الحرب الحالية — واجرها لبائعي الخضر والفاكهة الجائلين بقرشين السركية . قلت افعل ولا تتأخر واعتمد على نفسك وشددت عزمهُ

عرفت بعد ذلك انهُ فعل وتدرج في عملهِ من القليل الى الكثير حتى صار دخلهُ اليومي جنيهاً وكان قد صار لهُ مزاحمون فجعل اجرة السركة نرشاً واحداً في اليوم واخلاصة انهُ جمع رأس مال قدرهُ مئة جنيه وفتح بها دكاناً . وما كان يجد في السوق سلعة رائجة الاَّ اشترى منها وباع . وما انفك ذلك دأبهُ معتمداً على نفسهِ وصارفاً اجتهادهُ الى عمله حتى صار اليوم تاجراً ممدوداً . وكان في اثناء ذلك يجتهد كثيراً في التخلق باخلاق تذهب منهُ تلك الخشونة التي لم يكن الباعث عليها فيهِ الاَّ يأسهُ وقلة ذات يدهِ

بدأ هذا الشاب حياتهُ التجارية برأس مال زهيد فو ذكر على مسمع شاب من شبابنا الذين يملأون الجرائد كل يوم بشكاياتهم لانفضوا رؤوسهم وهزوا اكتافهم احتقاراً واستهزاء قائلاً لانهُ لا روح رجولية فيهم تجعلهم يقدمون على العمل احراراً مستقلين معتمدين على انفسهم . وثانياً لانهم يتوهمون أن رأس مال قدرهُ مئة جنيه مثلاً قليل جداً لا يستطيعون ان يديروا بهِ عملاً او تجارة ما ولو نظروا الى بعيد لعلموا ان النجاح يكون بالاعتماد على النفس وليس بكبر رأس المال كما سيجيء في عرض الكلام

فالشهادة المدرسية التي تتأبطونها ايها الشبان وتتكلون عليها ينبغي لكم ان لا تعدوها رأس مالكم الوحيد وان تكن واسطة لتوظيفكم في دوائر الحكومة وانما رأس مالكم هو عملكم واتكالكم على انفسكم وانتهاز الفرص التي تسنح لكم . واذا كانت أمراً مرغوباً فيهِ اليوم فستكون غداً امراً مرغوباً عنهُ ولاسيما وقد بدأت الحكومة تعودكم الاعتماد على النفس ولكن من وجه غير مباشر وكان اول هذا الطريق الغاء التوظف لحاملي الشهادة الابتدائية

لماذا يكون قصد الوالدين واولادهم في قطرنا هذا ان ينال اولادهم الشهادات على اختلافها لكي يوظفوا في دوائر الحكومة ؟ لماذا يكون قصد من ينال شهادة الهندسة مثلاً التوظف في مصلحة الري . هب ان هذه المصلحة ضاقت ذرعاً بموظفيها أييأس ذلك الشاب من حياتهِ ويجعل القهوة مجلسهُ ويمد نفسهُ تعيساً سيء الحظ منكود الطالع . أليس في وسعهِ ان يفتح مكتباً لتعاطي صناعتهِ واذا احتج عليَّ بانهُ لا رأس مال معهُ قلت أن من يعتمد على نفسهِ يوجد رأس المال لعملهِ . كذلك هو شأن جميع المفلحين الناجحين في العالم . اقرأ سيرهم ترَ انهُ لم يكن معهم في اول امرهم رأس مال يتكلون عليهِ وليس هؤلاء الناجحون الا الذين اتقدت في صدورهم نار الرجولية

ان المتعلم المفكر يجد في قطرنا كثيراً من الاشغال والاعمال لم يطرقها من قبل طارق ولا سار في طريقها سائر . فلو نزعنا القيود من ايدينا وارجلنا واطلقنا عقولنا من الاغلال ونبذنا التقليد جانباً لما سدت الطرق في وجوهنا . وعندي ان اليأس جبن وخور عزم فاقدموا متكلين على انفسكم ففي الاقدام نجاة وفي الجمود والاحجام قضاء على الحياة

اسحق ضروف